

تفسير البغوي

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفَّيْكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^ط ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

(إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) اختلفوا في معنى التوفي هاهنا ، قال
الحسن والكلبي وابن جريج : إني قابضك ورافعك في الدنيا إلي من غير موت ، يدل عليه
قوله تعالى : " فلما توفيتني " (117 - المائة) أي قبضتني إلى السماء وأنا حي ، لأن
قومه إنما تنصروا بعد رفعه إلى السماء لا بعد موته ، فعلى هذا للتوفي تأويلان ، أحدهما :
إني رافعك إلي وافيًا لم ينالوا منك شيئًا ، من قولهم توفيت كذا واستوفيته إذا أخذته تامًا
والآخر : أني [مستلمك] من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته ، وقال الربيع بن أنس :
المراد بالتوفي النوم [وكل ذي عين نائم] وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائمًا إلى السماء
، معناه : أني منومك ورافعك إلي كما قال الله تعالى : " وهو الذي يتوفاكم بالليل " (60
- الأنعام) أي ينيمكم وقال بعضهم : المراد بالتوفي الموت ، روي [عن] علي بن طلحة

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه : أني مميتك يدل عليه قوله تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت " (11 - السجدة) فعلى هذا له تأويلان : أحدهما ما قاله وهب : توفي الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه الله إليه ، وقال محمد بن إسحاق : إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعاه ، والآخر ما قاله الضحاك وجماعة : إن في هذه الآية تقدима وتأخيرا معناه أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، أخبرنا علي بن الجعد ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد " . ويروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى عليه السلام قال : " وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الدجال فيمكث في الأرض

أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون " .وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول
عيسى في القرآن؟ قال نعم : (وكهلا) ولم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله
من السماء قوله تعالى : (ومطهرك من الذين كفروا) أي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم
(وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) قال قتادة والربيع والشعبي
ومقاتل والكلبي : هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم فهو فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة ، وقال
الضحاك : يعني الحواريين فوق الذين كفروا ، وقيل : هم أهل الروم ، وقيل : أراد بهم
النصارى فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة ، فإن اليهود قد ذهب ملكهم ، وملك النصارى
دائم إلى قريب من قيام الساعة ، فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا اتباع
الدين (ثم إلي مرجعكم) في الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر
الدين وأمر عيسى .